

ورد إذا ورد البحيرة شارباً

خرج بدر بن عمار إلى أسد فهرب الأسد منه، وكان قد خرج قبله إلى أسد آخر فهاجه عن بقرة افترسها بعد أن شبع وثقل فوثب إلى كفل فرسه فأعجله عن استئلال سيفه فضر به بالسوط ودار به الجيش، فقال أبو الطيب:

[الكامل]

فِي الْخَدِّ أَنْ عَزَمَ الْخَلِيطُ رَحِيلاً
مَطَرٌ تَزِيدُ بِهِ الْخُدُودُ مُحُولاً^(١)
يَا نَظْرَةً نَفَتْ الرُّقَادَ وَعَادَرَتْ
فِي حَدِّ قَلْبِي مَا حَيْثُ فُلُولاً^(٢)
كَانَتْ مِنَ الْكَحْلَاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا
أَجَلِي تَمَثَّلَ فِي فُؤَادِي سُولاً^(٣)

= مكان، فإذا بممدوحه يمتطي السماء ومن حوله نجومها تستمد نورها من خصاله، كرمأ، شجاعة، نبلاً، نسباً رفيعاً، خلقاً... وهذا ما جعل الشاعر يستغرب كيف أن الممدوح وقد ولد خالياً من كل عيب، كامل الأوصاف، ومع ذلك فقد ازداد كمالاً مع مرور الأيام وتجربة أنضجته.

(١) يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. الخليط: الجماعة المخالطون، ويقصد بذلك حبيبته. محولاً: جذباً. يُعبّر الشاعر عن حزنه لرحيل أحبته ومعهم واحدة جعلته يبكي، فإذا بدموعه تُحيل خذييه صحراء غزتهما التجاعيد وتصلبتا فبدتا كأنهما أرض بور محلت، فليس فيهما رواء ونضرة.

(٢) الرقاد: النوم. الفلول: الأثلام. إنها نظرة فعلت الأفاعيل في الشاعر، فقد أعدمته هناءة النوم، فإذا بالسهل والأرق ينوبان عن الرقاد، وإذا بقلبه وقد بدت فيه جراحات لا تندمل طوال عمره.

(٣) وردت الأبيات الثلاثة المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٠. الكحلأ: السوداء الجفنين. السؤل: ما يتمناه المرء. الأجل: الحين. الفؤاد: القلب. لقد كان الشاعر يتمنى لو أن ذات العينين الكسلتين الجميلتين رمت بنظرة وداع، وهذا ما كان يتمناه ويسعى ليراه، ولو فعلت لغزا قلبه فرح وملاءة بنفحة أمل، ولكن للأسف، فقد رحلت دون التفاتة وكلمة وداع.

أَجْدُ الْجَفَاءِ عَلَى سِوَاكَ مُرُوءَةً
وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكِ جَمِيلاً^(١)
وَأَرَى تَدْلُكَ الْكَثِيرَ مُحَبَّباً
وَأَرَى قَلِيلَ تَدْلُلٍ مَمْلُولاً^(٢)
حَدَقُ الْحَسَنِ مِنَ الْعَوَانِي هَجَنَ لِي
يَوْمَ الْفِرَاقِ صَبَابَةً وَعَلِيلاً^(٣)
حَدَقُ يُذِمُّ مِنَ الْقَوَاتِلِ غَيْرَهَا
بَذْرُ بَنٍ عَمَّارٍ بَنٍ إِسْمَاعِيلاً^(٤)

(١) الجفاء: البعد والإعراض. النوى: البعد، يخاطب الشاعر حبيبته أنه لن يرق قلبه لسواها، لذا فمن المروءة أن يُعرض عن النسوة إلا حبيبته التي تركته ولم تهتم لما يُعاني من الهجر، وهو يصبر على كل شيء سوى البعد عنها، لأنها استحوذت على قلبه معها، فتركته بلا قلب.

(٢) التدلل: إظهار السكينة والوفار. يجد الشاعر لذة في تدلل محبوبته، فهي تبدي وقاراً وسكينة، ممّا يجعله يتمسك بها أكثر ويتمادى بحبه لها، وقد يرى محاولة بسيطة من غيرها، فلا يجد فيها إلا فظاظة وشناعة مملولة.

-أورد صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٤٠ بيتاً لم يرد في الديوان، وهو التالي:

تَشْكُورَ وَادْفِكَ الْمَطِيَّةَ فَوْقَهَا شَكْوَى الَّتِي وَجَدْتُ هَوَاكَ دَخِيلاً
وورد بيت آخر وراء البيت السابق لم يرد في الديوان، وهو التالي:

وَيُعِيرُنِي جَذْبُ الزُّمَامِ لِقَلْبِهَا فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلاً

(٣) الحدق، الواحدة حدقة: سائر سواد العين. الحسان، الواحدة حسناء: الجميلة. الغواني، الواحدة غانية، التي اغتنت بجمالها عن التزين أو التي اغتنت بزوجه. الصبابة: شدة العشق. الغليل: حرارة العطش. يتحدث الشاعر عن أثر لحظة الفراق، فقد أثارت عيون الجميلات الحسنات الغواني في قلبه لالعج الحب وضرام الشوق؛ وهذا ما ألمه وزاد حزنه.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٢. يُذِمُّ: يُجِير ويعطي الذمام. يتخلّص الشاعر من الغزل إلى المدح، فيتابع حديثه عن تلك الأحداق القاتلة التي تفتك بعشاقها دون رحمة، والشاعر بحاجة إلى من يدخل في ذمته فيحول دون قتل ذوات الأحداق الجميلة القاتلة، إنه بدر بن عمار بن إسماعيل، ومع ذلك فإنه قد لا يوفق في مسعاه.

- الْفَارِجُ الْكُرْبَ الْعِظَامَ بِمِثْلِهَا
وَالْتَّارِكُ الْمَلِكَ الْعَزِيزَ ذَلِيلًا^(١)
مَحِكَ إِذَا مَطَّلَ الْغَرِيمُ بِدَيْنِهِ
جَعَلَ الْحُسَامَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلًا^(٢)
نَطَقَ إِذَا حَطَّ الْكَلَامُ لَشَامَهُ
أَعْطَى بِمَنْطِقِهِ الْقُلُوبَ عُقُولًا^(٣)
أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ
وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا^(٤)
وَكَانَ بَرْقًا فِي مُثُونِ غَمَامَةٍ
هَنَدِيَّةُ فِي كَفِّهِ مَسْلُولا^(٥)
وَمَحَلَّ قَائِمِهِ يَسِيلُ مَوَاهِبًا
لَوْ كُنَّ سَيْلًا مَا وَجَدَنَّ مَسِيلًا^(٦)

- (١) يمدح الشاعر بذكاءه بأنه يكشف غموم أصحابه وأحبابه، فيزيل عنهم بؤسهم وفقرهم بما لديه من أموال، وهو يتصدى للملوك الأقوياء فيذلهم ويستخلص أموالهم ليردها على أصحابه ومواليه فيعتزّون به وبها فتنساح عنهم الكرب العظام.
- (٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠. المحك: اللجوج. المطل: التسويف بإعادة إلى صاحبه. يصف الشاعر ممدوحه بأنه لا يتوانى عن استعمال سيفه إذا لم يسترجع دينه من غريمه الذي لجأ إلى التسويف والمماطلة؛ وهنا تبدو طبيعة بدر على حقيقتها، إنه لا يتنازل عن حقّه بل يطالب به بالحاح وبكلّ الوسائل.
- (٣) النطق: المفوّه البليغ. يمدح الشاعر ممدوحه بحسن المنطق وإجادة القول فيثير العقول والقلوب لما يُعطي من الحكم البليغة والآراء الصائبة عندما يكشف اللثام عن فمه، فيمتلك قلوب السامعين وعقولهم فيأخذون بآرائه الحكيمة.
- (٤) ورد البيت في: معاهد التنصيص، للعباسي ٢: ١٢٧، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠. السخاء: الجود والكرم. ومن مغالاة الشاعر أن الزمان انتقلت إليه العدوى التي اشتهر بها الممدوح، وهي الكرم والجود، فكان أن جاد بالممدوح ولو لم يفعل لكان بخيلاً جداً، ولما كان جود في الكون أصلاً.
- (٥) و (٦) المتون، الواحد متن: الظهر. الغمامة: السحابة. الهندي: السيف المصنوع في =

- رَقَّتْ مَضَارِبُهُ فَهُنَّ كَأَنَّمَا
يُبْدِينَ مِنْ عَشْقِ الرَّقَابِ نُحُولًا^(١)
أَمْعَفَرَ اللَّيْثِ الْهَزْبِرِ بِسَوْطِهِ
لِمَنْ أَدَخَرْتُ الصَّارِمَ الْمَصْفُوقًا^(٢)
وَقَعْتُ عَلَى الْأُزْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ
نُضِدْتُ بِهَا هَامُ الرَّفَاقِ ثُلُولًا^(٣)
وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا
وَرَدَّ الْمُفَرَاتَ زَرْيَرُهُ وَالنَّيْلَا^(٤)

= الهند. يصف الشاعر استعمال ممدوحه للسيف وقد جرّده من غمده، فإذا بالبرق يلوح منه وضاء لامعاً كأنه يُمزق غمامة فيُنير الكون بإشعاعه، فتسيل منه المواهب بغزارة على كثرتها، ولو كانت ماءً لما وجدت فسحة في الأرض تنسكب فيها لكثرتها.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧٦. المضارب، الواحد مضرب: حدّ السيف. يبدین: يظهرن. يُتابع الشاعر وصف سيف ممدوحه، فحدّه رفيق ناحل، إنه عاشق يعشق الرقاب فيقطعها بلا هوادة، ولدوام عشرته لها دبّ فيه النحول، فعشقه لها لا يُقاوم.

(٢) عقره: مرّغه في التراب. الهزير: من أسماء الأسد، وهو القويّ الضخم. أدخر: خبأ واختزن. يُخاطب الشاعر ممدوحه، وقد شهد الحدث الذي ينم عن شجاعته وقوّته. هاهو الأسد طريح الأرض وقد تمرّغ في التراب لا حول له ولا قوّة، وما سلاح الممدوح في تلك المعركة الضارية؟ إنه مجرد سوط يُدرب به الحيوان عادة، فإذا به سلاح قاتل، ولكن أين الصارم البتار، ولمن اختزنه الممدوح؟ لا شك أنه اختزنه لأمر جليل.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠. نضدت: ركمت بعضها فوق بعض. البلية: الكارثة، المصيبة. الهام، الواحدة هامة: الرؤوس. ما الذي استوجب قتل ذلك الأسد؟ إنه قاتل فقد قطع الطريق على أهل الأردن، وتهاوت ضحاياها حتى جعل من رؤوسهم تلالاً، فاستوجب الانتقام منه لأفاعيله الشنيعة.

(٤) الورد: الأسد الأحمر. البحيرة: بحيرة طبرية. يصف الشاعر عوامل الرعب التي تتمثل في ذلك الأسد، منها زئيره الذي يتردد صده، فيبدأ من بحيرة طبريا ويمتد صده عبر الهواء إلى بلاد العراق ومصر.

مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَا يَسُ
 فِي غَيْلِهِ مِنْ لِبْدَتَيْهِ غِيلاً^(١)
 مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ إِلَّا ظُنَّتَا
 تَحْتَ الدُّجَى نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولاً^(٢)
 فِي وَحْدَةِ الرُّهْبَانِ إِلَّا أَنَّهُ
 لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَ^(٣)
 يَطْأُ الثَّرَى مُتَرْفِقاً مِنْ تَيْمِهِ؛
 فَكَأَنَّهُ آسَ يَجُسُّ عَلِيلاً^(٤)
 وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَافُوخِهِ
 حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلاً^(٥)

- (١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠. متخضب: ملوث. الغيل: الأجمة الكثيفة الأشجار. لبدة الأسد: شعره المجتمع على كتفه. ليس هذا الأسد كسائر الأسود، فقد واجه فرساناً كثيرين فكانوا من ضحاياه، وقد صبغته دماؤهم، فإذا مشى بدارأسه كبيراً تزيّنه لبدة عظيمة، فضلاً عما تُثيره من المهابة والجزع لدى رؤيته.
- (٢) ورد البيت في: أمالي ابن الشجري ٢: ٣٢٧، الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠. الفريق: الجماعة. الدجى: ظلمة الليل. حلولاً: نازلين. يتابع الشاعر وصف الأسد، فعيناه تثيران رعباً في النفوس، وهما في الليل بمثابة نار تستعر، وقد تخدعان الجماعة منها السارين فيتهافتون إلى حيث الشهب يتصاعد وتكون هلكتهم.
- (٣) يتابع الشاعر واصفاً سلوك الأسد؛ إنه منعزل في غيله لا يُشاركه أسد آخر، ورغم وحدته شأن الرهبان المتعبدین فإنه لا يعرف لا حلالاً ولا حراماً.
- (٤) وردت الأبيات الاثنا عشر المتوالية في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٠-١٣١. الثرى: التراب. التيه: الزهو والاعتزاز بالنفس. الآسى: الطبيب. يروى «البرى» بدلاً من «الثرى». وهما بمعنى واحد، يصف الشاعر مشية الأسد، فوطؤه الأرض بلطف، لأنه لا يخاف شيئاً، واثق من شجاعته وجبروته، وهو في هذه الحالة كأنه طبيب يجسّ رأس مريضه برقة كي لا يُزعجه.
- (٥) العفرة: الشعر المجتمع في قفاه. اليافوخ: ملتقى عظم مقدم الرأس. الإكليل: التاج. يتابع الشاعر وصف الأسد، إنه يردّ عفرته إلى هامته، فإذا بها تتحول إكليلاً، كأنه ملك، وذلك في حال غضبه واستعداده للمجابهة.

وَتَظْلُنُهُ مِمَّا يُزْمَجِرُ نَفْسُهُ
عَنْهَا لِشِدَّةِ غَيْظِهِ مَشْغُولًا^(١)
قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الْخُطَى فَكَأَنَّمَا
رَكِبَ الْكَمِيَّ جَوَادُهُ مَشْكَوْلًا^(٢)
أَلْقَى فَرِيَسَتَهُ وَبَرَبَرْدُونَهَا،
وَقَرُبَتْ قُرْبًا خَالَهُ تَطْفِيلًا^(٣)
فَتَشَابَهُ الْخُلُقَانِ فِي إِفْدَامِهِ،
وَتَخَالَفَا فِي بَذَلِكِ الْمَأْكُولَا^(٤)
أَسَدٌ يَرَى غُضُوبِيهِ فِيكَ كَلِيَهُمَا
مَثْنًا أَزَلَّ وَسَاعِدًا مَفْتُوْلًا^(٥)

(١) زمجر: ردد زئيره. يُتابع الشاعر وصف حالة الأسد في حال غضبه، إنه يردّد زئيره، فإذا ما سمع صوته ازداد زئيراً معبراً عن غضبه وحنقه، وهو لا يليه سوى التعبير عن شدة غيظه لإثارة الرعب في النفوس.

(٢) الخطى، الواحدة خطوة: المسافة بين القدمين. الكمي: البطل المدجج بالسلح. المشكول: المقيد بالشكال. يصف الشاعر الأثر النفسي لكل من يتصدى للأسد في حال المواجهة بينهما، فالبطل المدجج بالسلح يمتطي جواداً، فإذا ما وقعت العيون على العيون تجمّدت حركة الفرس فلا يتقدّم ولا يتحرّك فكان كمن ربط بالأرض لشدة خوفه، وهذا بلا ريب ينعكس على الفارس تشلّ حركته ويصاب بالهلع، فيقع ضحية جرائته.

(٣) و (٤) الفريسة: الطريدة. البربرة: الزمجرة. خال: ظنّ. التطفيل: المشاركة في الطعام دون دعوة. وصف الشاعر الطريقة التي تم الإيقاع بالأسد بواسطتها، فقد دفع الممدوح ببقرة ليهيج بها الأسد، الذي افترس فريسته، وفجأة رأى أمامه عملاً يتحذاه، فإذا به يزمجر علّه يُخيف المتطفل ويبعده عن وليمته. إن هذا الموقف ينم عن طبيعتين متضادتين، فالحيوان تتمثل فيه طبيعة الشره والبخل، والممدوح تتمثل فيه طبيعة الكرم والجود، فضلاً عن أنهما تتمثل فيهما الشجاعة والقوة.

(٥) المتن: الصلب والظهر. الساعد: العضد. الأزل: الأرسح. يُخاطب الشاعر ممدوحه أن الأسد يرى مشاركة ومشابهة معه؛ في القوة والشجاعة، ذلك أنّ صلبه متين ممسوح، وعضده مفتول تماماً كالممدوح سواء بسواء.

- فِي سَرْجِ ظَامِئَةِ الْفُصُوصِ طِمْرَةٍ
 يَأْبَى تَفَرُّدَهَا لَهَا التَّمْثِيلَا^(١)
 نَيَّالَةَ الطَّلِبَاتِ لَوْلَا أَنَّهَا
 تُعْطِي مَكَانَ لِحَامِهَا مَا نِيَلَا^(٢)
 تَنْدَى سَوَالِفُهَا إِذَا أُسْتَحْضَرَتْهَا
 وَيُظَنُّ عَقْدُ عَنَانِهَا مَحْلُولَا^(٣)
 مَا زَالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فِي زُورِهِ
 حَتَّى حَسِبْتَ الْعَرَضُ مِنْهُ الطُّولَا^(٤)
 وَيَدُقُّ بِالصَّدْرِ الْحِجَارَ كَأَنَّهُ
 يَبْغِي إِلَى مَا فِي الْحَضِيضِ سَبِيلَا^(٥)
 وَكَأَنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فَادَّانَى
 لَا يُبْصِرُ الْخُطْبَ الْجَلِيلَ جَلِيلَا^(٦)

- (١) ظامئة الفصوص: دقيقة المفاصل. الطمرة: الوثابة. يصف الشاعر فرس ممدوحه، لقد دنا الممدوح من الأسد وهو يمتطي فرساً متخذاً سرجها مقعداً مريحاً له، لا يشبهها من بني جنسها أحد، إنها دقيقة المفاصل، مشدودة الأعضاء، ثابتة الخطى لا يعرف الخوف سبيلاً إلى قلبها.
- (٢) نيالة: تصيب المطلوب. الطلبات، الواحدة طلبية: الحاجة. يصف الشاعر تلك الفرس، من صفاتها السرعة الفائقة بحيث تدرك ما تلحقه وتسبقه، إنها طويلة العنق، مشرفة الرأس، وما يسهل الإمساك بها لجام قوي، ولولا ذلك لما استطاع فارسها السيطرة عليها.
- (٣) السوالف، الواحد سالف: صفحة العنق. استحضر: حمل على الركض. العنان: سير اللجام. يتابع الشاعر وصف تلك الفرس؛ إنها تعدو بسرعة حتى يعرق عنقها وما حوله، وهي مطواع لفارسها لا تجاذبه، وإذا رفعت رأسها بالعنان استرخى وطل، إنه طويل على طول عنقها، فيبدو كأنه مفكوك.
- (٤) و (٥) الزور: وسط الصدر. يدق: يكسر. الحضيض: أسفل الأرض. رجع الشاعر إلى وصف الأسد، إنه يتهيا للوثوب، فإذا به ينكمش على نفسه جامعاً قواه في صدره حتى أصبح غرضه على قدر طوله، وهو لا يني يضرب بصدره الأرض فيحطّم الأحجار لعظم غيظه وكأنه يبغي الولوج إلى أعماقها.
- (٦) اذنى: اقترب. الخطب: الحدث العظيم. إنها مواجهة حقيقية، كل من الخصمين =

أَنْفُ الْكَرِيمِ مِنَ الدَّنِيَّةِ تَارِكٌ
 فِي عَيْنِهِ الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلاً^(١)
 وَالْعَارُ مَضَاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ
 مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلاً^(٢)
 سَبَقَ التَّقَاءَ كُهُ بِوُثْبَةِ هَاجِمٍ
 لَوْ لَمْ تُصَادِمُهُ لَجَارَكَ مِيلاً^(٣)
 خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وَقَدْ كَافَحَتْهُ
 فَاسْتَنْصَرَ التَّسْلِيمَ وَالتَّجْدِيلاً^(٤)
 قَبَضَتْ مَنِئْتَهُ يَدَيْهِ وَعُنُقَهُ
 فَكَأَنَّمَا صَادَفْتُهُ مَغْلُولاً^(٥)

= ينظر إلى الآخر نظرة تحدّ، نظر الأسد نظرة دونية إلى خصمه ودخله شيء من غرور، وقد هَوّت نفسه عليه ما هو مقدم عليه، فاعتبر الأمر سهلاً.

(١) و (٢) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣١. الأنفة: الكبرياء. المضاض: ألم الوجع. الحنف: الهلاك. إنها مواجهة ضارية بين الإنسان والحيوان، فالأسد لن يتراجع أو يفرّ لأن ذلك يجرح من كبريائه، وهو يأنف أن يُوصف بالجبّ، فإذا به يستصغر الصعب ويهوّن على نفسه الأمر، فإذا بالكثرة تبدو قلةً بنظره، إنه لا يقبل على نفسه مذلةً، والموت واحد فلا منجاة منه، والممدوح كان أمام نفس الامتحان، ولا بدّ له من النصر، وإلاّ فالأقاويل سوف تنسج روايات لا حصر لها.

(٣) و (٤) إنه صدام عنيف، فقد وثب الأسد وثبة جبار يُريد أن يُنهي جولة الصراع بأسرع ما يُمكن، فإذا بالفارس يتصدّى للأسد، ولو أفلح في وثبته لترك الفارس وفرسه في خبر كان، وتجاوزته مسافة ميل لعظم وثبته، فكانت وثبة وبال عليه، فخذلته قوّته، وحاول أن يستجمع ما بقي من قوّته ويستنصر لها، فإذا به ينطرح أرضاً معلناً استسلامه لمن هو أقوى منه، وقد ظنّ أن النصر يتمّ له بهذه الوسيلة.

(٥) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣١. قبض: أمسك. مغلولاً: مقيداً. المنية: الموت. إنها ساعة النهاية، لقد شلّت حركة الأسد، فإذا بالموت ينشب أظفاره في ضحيّته، كلّ من يديه وعنقه قد قيّد قيد الموت، ممّا سهّل قتله على يدي الممدوح ولم يبد مقاومة تُذكر. يتساءل المرء أين شجاعة الممدوح وقوّته في وصف كهذا؟

- سَمِعَ أَبْنُ عَمَّتِهِ بِهِ وَبِحَالِهِ
 فَتَجَا يُهْرُولُ مِنْكَ أَمْسٍ مَهُولًا^(١)
 وَأَمْرٌ مِمَّا فَرَّ مِنْهُ فِرَارُهُ،
 وَكَقَتْلِهِ أَنْ لَا يَمُوتَ قَتِيلًا^(٢)
 تَلَفَ الَّذِي اتَّخَذَ الْجَرَاءَةَ خُلَّةً
 وَعَظَ الَّذِي اتَّخَذَ الْفِرَارَ خَلِيلًا^(٣)
 لَوْ كَانَ عِلْمُكَ بِالْإِلَهِ مُقَسِّمًا
 فِي النَّاسِ مَا بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا^(٤)
 لَوْ كَانَ لَفُظُكَ فِيهِمْ مَا أَنْزَلَ إِلَهُ
 قُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^(٥)
 لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
 تُعْطِيَهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلَ^(٦)

- (١) و (٢) الهرولة: ضرب من الركض فيه اضطراب. مهولاً: شديد الرعب. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن خبر مصرع ذلك الأسد جعل الرعب يضطر ابن عمه إلى الفرار مؤثراً السلامة، وبذلك نجا من موت محقق ولم يلتق الممدوح في جولة صراع، ومع ذلك فإحساسه بأنه فرّ من قدره يقتله كمدأ، فالفرار يؤلّد في النفس إحساساً بالذلّ؛ فالشجاع يرفض على نفسه الفرار من الموت، فالنجاة في هذه الحالة كالموت تماماً.
- (٣) التلّف: الهلاك. الخلّة: الصّحبة والصدّاقة. يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بعمله العظيم، فكان من نتائجه، أن قتل من اختار الشجاعة خليلاً فتلف، ووعظ من فرّ من موت محتّم، فكان درساً له فاستسلم للموادعة.
- (٤) يُخاطب الشاعر ممدوحه منوّهاً بتقاه وورعه، فمعرفته بخالقه سبحانه وتعالى عظيمة جامعة، ولو أن الناس جميعاً على علمه وورعه ما أرسل الله تعالى رسولاً. إنها مغالاة وشطط في المدح.
- (٥) ويُردف الشاعر قوله منوّهاً بعلم ممدوحه، فلو أن علم ممدوحه انتشر بين البشر ما كان القرآن والتوراة والإنجيل، ممّا يدل على هديه وعظم معرفته في العلم اللدني.
- (٦) التأميل: الرجاء. يُتابع الشاعر حديثه عن كرم ممدوحه، فلو أنه أمّد الناس بالعطاء =

فَلَقَدْ عُرِفْتُ، وَمَا عُرِفْتَ حَقِيقَةً،
وَلَقَدْ جُهِلْتُ، وَمَا جُهِلْتَ خُمُولاً^(١)
نَطَقْتُ بِسُؤْدُوكَ الْحَمَامُ تَعْنِيًا،
وَبِمَا تُجَشِّمُهَا الْجِيَادُ صَهِيلاً^(٢)
مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْمَعَالِي نَافِذاً
فِيهَا وَلَا كُلُّ الرَّجَالِ فُحُولاً^(٣)

أنت النهاية في الكمال

نظر إلى جانبه ثياباً مطوية فسأل عنها فقيل: هي خلع الولاية، وكان أبو الطيب
عند وصولها عليلاً فقال:

[الوافر]

أَرَى حُلَّلاً مُطَوَّاةً حَسَاناً
عَدَانِي أَنْ أَرَاكَ بِهَا أَعْتَالِي^(٤)

= لتعطلت قواهم واستغنوا عن طلب المعاش لتوفره في أيديهم ولما عرفوا الرجاء بأن
الممدوح سيمدهم بعطائه.

(١) الخمول: الكسل وقلة نباهة المرء. لقد علم الناس بسخاء الممدوح وجوده، ولكنهم
لم يعرفوه حقيقة المعرفة، وفي هذه الحالة فهم يجهلون حقيقة وسر عظمتهم، وجهلهم
للممدوح لم ينتج عن خموله بل عن تقصير منهم وعدم فهمه.

(٢) السؤدد: العظمة والسيادة. تجشم الأمر: تكلفه بمشقة. يُردف الشاعر كلامه موضحاً
سر عظمة ممدوحه، فقد تغنى الحمام بمدحه وتجاوبت أصداء عظمتهم في غنائها،
وكذلك قد أعلنت الخيول عن انتصاراته وأعماله بأعدائه المشهورة.

(٣) نافذاً: متفوقاً ماضياً في تحقيق ما يصبو إليه. يُنهي الشاعر قصيدته بحكمة أن الفلاح
والنجاح له رجاله، والممدوح واحد من هؤلاء إنه يمضي في تحقيق ما تهنؤ إليه نفسه
من رفعة وسؤدد وأمجاد، وفي المقابل فالكثير من البشر لا يبلغون أمانيتهم لضعف في
إراداتهم، وهم ليسوا من الفحول الأشداء الأقوياء.

(٤) عداني: منعني. اعتلالي: مرضي. يُبدي الشاعر سروره بأنه رأى خُلعة الولاية ولقد
حال دون رؤية ممدوحه يتحلّى بها أنه كان مريضاً، فقد كانت مطوية، وكان في خلدته
أن يراه يختال فيها فرحاً مسروراً.